

قصص الأنبياء

ذكر مولد إسحاق عليه السلام .

قال ا﷑ تعالى : { وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين } .

وقد كانت البشارة به من الملائكة لإبراهيم وسارة لما مروا بها مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء ا﷑ تعالى .
قال ا﷑ تعالى : { ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر ا﷑ رحمة ا﷑ وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد } .

وقال تعالى : { ونبئهم عن ضيف إبراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون * قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم * قال أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشركناك بالحق فلا تكن من القانطين * قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون } .

وقال تعالى : { هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قولوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم } .

يذكر تعالى : أن الملائكة - قالوا : وكانوا ثلاثة : جبريل وميكائيل وإسرافيل - لما وردوا على الخليل حسبهم أولا أضيافا فعاملهم معاملة الضيوف وشوى لهم عجلا سميئا من خيار بقره فلما قربه إليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام فنكرهم إبراهيم : { وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط } أي لندمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا ﷑ عليهم وكانت قائمة على رءوس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استبشارا بذلك قال ا﷑ تعالى : { فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب } أي بشرتها الملائكة بذلك : { فأقبلت امرأته في صرة } أي في صرحة : { فصكت وجهها } أي كما يفعل النساء عند التعجب وقالت : { يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا } أي كيف يلد مثلي وأنا كبيرة وعقيم

أيضا وهذا بعلي أي زوجي شيئا ؟ تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت : { إنني هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد {

وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استبشارا بهذه البشارة وتثبيتا لها وفرحا بها : { قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون * قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين { أكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروهما { بسلام عليم { وهو إسحاق أخو إسماعيل غلام عليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر وقال في الآية الأخرى : { فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب { .

وهذا مما استدل به محمد بن كعب القرظي وغيره على أن الذبيح هو إسماعيل وأن إسحاق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب من بعده .

وعند أهل الكتاب أنه أحضر مع العجل الحنيذ وهو المشوي رغيفا من مكة فيه ثلاثة أكياس وسمن ولبن وعندهم أنهم أكلوا وهذا غلط محض وقيل : كانوا يرون أنهم يأكلون والطعام يتلاشى في الهواء .

وعندهم أن الله تعالى قال لإبراهيم : أما سارة امرأتك فلا يدعى اسمها سارة ولكن اسمها سارة وأبارك عليها وأعطيك منها ابنا وأباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه فخر إبراهيم على وجهه - يعني ساجدا - وضحك قائلا في نفسه أبعد مائة سنة يولد لي غلام أو سارة تلد وقد أتت عليه تسعون سنة ؟ ! .

وقال إبراهيم الله تعالى : ليت إسماعيل يعيش قدامك فقال الله لإبراهيم : بحق أن امرأتك سارة تلد لك غلاما وتدعو اسمه إسحاق إلى مثل هذا حين من قابل وأوثقه ميثاقى إلى الدهر ولخلفه من بعده وقد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما وأجعله رئيسا لشعب عظيم .

وقد تكلمنا على هذا بما تقدم والله أعلم .

فقوله تعالى : { فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب { دليل على أنها تستمع بوجود ولدها إسحاق ثم من بعده بولد ولده يعقوب أي يولد في حياتهما لتقرأ أعينهما به كما قرت بولده ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده كما سرا بمولد أبيه من قبله وقال تعالى : { وهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا { وقال تعالى : { فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب { .

وهذا إن شاء الله ظاهر قوي ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن

إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : [المسجد الحرام] قلت : ثم أي ؟ قال : [المسجد الأقصى] قلت : كم بينهما ؟ قال : [أربعون سنة] قلت : ثم أي ؟ قال : [ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد] .
وعند أهل الكتاب أن يعقوب عليه السلام هو الذي أسس المسجد الأقصى وهو مسجد إيليا بيت المقدس شرفه الله .

وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب عليه السلام وهو - إسرائيل - بعد بناء الخليل وابنه إسماعيل المسجد الحرام بأربعين سنة سواء وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود إسحاق لأن إبراهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى : { وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم * ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون * ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب } .

وما جاء في الحديث من أن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافا ثلاثا كما ذكرناه عند قوله : { رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي } - وكما سنورده في قصته - فالمراد من ذلك والله أعلم أنه جدد بناءه كما تقدم من أن بينهما أربعين سنة ولم يقل أحد إن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه وأنواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق إليه .

* * *